

الاستعارة في القرآن الكريم (نموذجاً)

Metaphor in Holy Quran (sample)

الدكتور/ بروفييسور جمال أحمد بشير بادي²
Prof. Dr. Jamal Ahmed Bashier Badi

عبدالفتاح دانشفر¹
Abdul Fatah Danishfar

ملخص البحث

يركز هذا البحث على موضوع الاستعارة وأسرارها في القرآن الكريم بصورة عامة وبيان جمالية الآيات القرآنية وعظمة الأسلوب الإلهي من خلال الاستعارة. وبالتالي، فإن كل أسلوب من أساليب القرآن الكريم له أثر بالغ وتأثير واضح في بيان فصاحة القرآن خاصة في أسلوب الاستعارة. لقد اتفق البلغاء في أن الاستعارة أبلغ من التشبيه والحقيقة، كما أن التشبيه هو أعلى مراتب البلاغة. والاستعارة تحل مكانة أعلى في مراتب الفصاحة. وكما كانت الكناية أبلغ من التصريح، فالاستعارة أبلغ منه في علم البديع.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الاستعارة، البلاغة، وإعجاز.

¹ طالب الدكتوراه بقسم دراسات القرآن والسنة، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

² أستاذ التفكير الإبداعي بقسم الدراسات البين تخصصية بكلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا
badi@iium.edu.my

Abstract

This research focuses on metaphor and its secrets/mysteries in the Holy Qur'an in general, the statement of the beauty of the Qur'anic verses, and the greatness of the divine method through metaphor. Each method of the Noble Qur'an has a significant and clear impact on the eloquence of the Qur'an, especially the method of metaphor. Therefore, the rhetoricians agreed that metaphor is more eloquent than simile and reality; just as a simile is the highest level of rhetoric, metaphor is the highest level of eloquence. Metonymy is more eloquent than statement/proclamation, and metaphor is more eloquent than it in the science of Badi.

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أرسله رحمة للعالمين. وبعد، فإن أهمية هذه المقالة تكمن في تناولها أسلوباً بلاغياً من أساليب القرآن الكريم، ومن أهمها أسلوب الاستعارة، وهو الأسلوب الذي يستحق كثيراً من البحث والاهتمام. وقد اهتم به فصحاء الأمة وبلغاؤها على مر القرون، وألفت الكتب والمقالات في هذا المجال. ومما يزيد في أهمية هذه الدراسة، أنها تدرس كتاب الله العظيم، وبالذات تركز على القضايا الأسلوبية. وعلى كل، فالبحث سوف يركز على تعريف الاستعارة لغة واصطلاحاً، وبعض الأمثلة النموذجية عليه، وكذلك أقسامها في كتب البلاغة القديمة مثل دلائل الإعجاز للجرجاني، ثم تطرق البحث إلى تقسيمات الاستعارة عند البلاغيين القدامى، وعند الذين جاءوا من بعدهم. في الحقيقة، تحظى الاستعارات باهتمام خاص في المقاربات الجمالية التي تركز على الإبداع الفني. والهدف منها، صياغة قوانين عامة تمثل ما يتم استبعاده من الأسلوب والصورة، جنباً إلى جنب مع إعطاء النصوص الأدبية جمالية، كما توجد في آيات القرآن الكريم والأشعار في فن الإبداع الأدبي. وقد تتألف الوجوه البلاغية بتكوينها باهتمام خاص ودروس وتحليلات، ولعل الاستعارة من أبرز الجوانب البلاغية المتعلقة بالمقاربة الجمالية. من أجل تحديد كيفية معالجة الاستعارة من الناحية الجمالية ومناقشة صورة الخلاصة في البحث،

وبالجدير أقول يحمل تصوّر الاستعارة إمكانية مهمة لتحليل بين المجالات التصورية التي تبني حياة البشر، وهي أمر يستوي فيه كل جيل من العربي والعجمي، ويسمعه من كل قبيل.

سبب اختيار الموضوع

الباعث على اختيار هذا الموضوع هو زيادة المعرفة بأسلوب الاستعارة في القرآن الكريم، والتعرف على دوره في إعجاز القرآن الكريم، وبيان دقائقه، وجمع ما تفرّق من أنواع الاستعارة في حد ما في هذا البحث وعرضه على الباحثين. وبهذه المقالة القصيرة، تعرّف الباحث على جانب من جوانب البلاغة في كتاب الله ﷻ.

أسئلة البحث

- 1- ما الاستعارة؟ وما دورها في تفسير القرآن الكريم؟
- 2- ما أنواع الاستعارات المستخدمة في القرآن الكريم؟
- 3- ما تأثير البلاغة القرآنية وموقعها في نفوس البلاغيين؟
- 4- ما مدى اعتماد الآخرين على تفحص البلاغة فيما يخص الاستعارة؟

فوائد البحث

الفائدة من هذا البحث أنه يبين لنا أن القرآن فيه أبواب كثيرة من الاستعارة، وجاءت الاستعارات فيها لأسباب، منها: المبالغة، والتعظيم، والتحقير، ورعاية الأدب، بخلاف الذين يعتقدون أن الاستعارة لم ترد في القرآن؛ لأنهم يحسبون الاستعارة كذبا، إلا أن الاستعارة والصور البيانية من إعجاز القرآن الكريم. والفائدة من هذا البحث أيضا أننا نتعرف على أنواع الاستعارات في القرآن، ونستفيد من هذا البحث أغنى التفاسير من الناحية البلاغية. وإن البحث في أساليب القرآن يعتبر شرفا للباحث؛ لأنه خدمة للقرآن الكريم، كما قيل: "إن شرف العلم بشرف موضوعه في الحقيقة بتوفيق الله ﷻ".

منهج البحث

وفقاً لطبيعة الموضوع وعنوانه، يتبع الباحث في هذا البحث الأسلوب النوعي (الكيفي) فهو ما وجده الباحث الأنسب لكتابة بحث وتوضيح مفاهيم محاوره واستيعاب أفكاره، وستكون منهجية البحث بهذا النمط والمنهج التالي:

- 1) المنهج الوصفي: معرفة مفهوم الاستعارة في القرآن الكريم وفوائده وأقسامه وأقوال العلماء في ذلك، والأسلوب الوارد في الاستعارة.
- 2) المنهج التحليلي: والنظر في آراء المفسرين في أسلوب الاستعارة وبيان أثرها في كلام الله ﷺ.
- 3) المنهج الاستقرائي: كان في جمع وتتبّع الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم. والهدف من الأسلوب البلاغي التطرق إلى المفاهيم الواردة حوله. وكثيراً ما، يستخدم الباحث في كتابة هذا البحث المنهج المكتبي بالاستقراء ما في الكتب الموجودة، وكذلك المعاجم الحديثية.

طريقة الدراسة في البحث

قسّم الباحث خطة البحث إلى العناوين المختلفة، الأول: بدأ بالمقدمة ثم شرع إلى البحث في المسألة. وقد ذكر الباحث أقوال العلماء عن الاستعارة في القرآن الكريم، ثم ختم بنتيجة البحث. وكذلك رتب الباحث قائمة المصادر والمراجع التي استفاد منها في هذا البحث بذكر اسم الكتاب، والمؤلف، والمحقق إن كان له، ثم مكان النشر، والناشر، وتاريخ النشر، ورقم المجلد، والصفحة. وأما إذا لم يعثر الباحث على المعلومات، فيضع علامات مثل (د.ت) دون التاريخ، (د.ط) دون الطبع و(د.ن) دون الناشر و(د.م) دون المكان النشر.

وقد بذل الباحث قصارى جهده في كتابة هذا البحث، وكل عمل بني آدم فيه نقصان وخطأ، ويتمنى الباحث أن يكون قد وفق إلى الوصول إلى المعلومات والنتائج الصحيحة، وإن كان ما كتبه صحيحاً وصواباً فمن الله وما كان فيه من الأخطاء فمنه ومن الشيطان.

وفي الحقيقة، موضوع الاستعارة في القرآن الكريم بحث واسع جداً، ويُدرس من كل الوجوه والجوانب العديدة، وهذا ما ألزم الباحث الحذر في خطة سير البحث، حتى لا يخرج عن الموضوع. كما لا يتوسع الباحث في شتى الجزئيات من البحث حتى إلى جذورها؛ لكيلا يتجاوز الحد الأقصى من الصفحات المحددة في منهجية البحث؛ لأن البحث في الاستعارة ينبغي كتابة أكثر من هذا. وأخيراً، أسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل ضمن حسناتي يوم القيامة وما ذلك على الله بعزيز.

ما هي الاستعارة:

وعرّف الاستعارة أبو مظفر الكنانى: "أن يستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول"، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: 49]. و﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 124]. و﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: 13]. والاستعارة أوكد ما في النفس من الحقيقة، وتفعل في النفوس ما لا تفعله الحقيقة، وقوله: فتبلاً، أنفى للكثير والقليل من قوله: شيئاً. وقوله ﷻ: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ و﴿إنه في أم الكتاب﴾ و﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ و﴿نسلخ منه النهار﴾ و﴿عذاب يوم عقيم﴾³.

وعرّفها أيضاً عبد الرحمن الميداني في مقدمة كتابه: "هو علم يبحث في كَيْفِيَّاتِ تأدية المعنى الواحد بطُرُقٍ تختلف في وضوح دلالاتها، وتختلف في صُورِها وأشكالها وما تتصف به من إبداعٍ وجمالٍ، أو فُبحٍ وابتدال".⁴

³ أبو المظفر، مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبي الشيرزي، البديع في نقد الشعر، تحقيق: الدكتور أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد، (الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي الإدارة العامة للثقافة، د.ط، د.ت)، ص: 7.

⁴ عبد الرحمن، الميداني. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، (مكة المرمية: مكة المكرمة في يوم السبت التاسع من ربيع الآخر، د.ط، 1414هـ)، ص563. بالترقيم الشاملة.

الاستعارة عند البلاغيين:

عرّفها الجاحظ على أنّها "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه".⁵ وقال ابن قتيبة: "هي اللفظ المستعمل في غير ما وُضِعَ له إذا كان المسمّى به بسبب من الآخر".⁶ وعرفها ابن المعتز على أنّها: "استعارة الكلمة لشيء لم يُعرف من شيء عُرِفَ به".⁷ وقال عبد القاهر الجرجاني: "أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغويّ معروفاً تدلّ الشواهد على أنّه اختصّ به حين وُضِعَ".⁸

الاستعارة لغة واصطلاحاً:

الاستعارة في اللغة: رفع الشيء وتحويله من مكان إلى مكان آخر، واستعار الشيء أي طلب منه أن يعطيه إياه عارية. وأما الاستعارة في علم البيان: فاستعمال كلمة بدل أخرى لعلاقة مشابهة مع القرينة الدالة على هذا أو طلب العاريّة أو استفعال من العارية، ثم نقلت إلى نوع من التخيل لقصد المبالغة.⁹

واصطلاحاً: استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي. والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغ منه التشبيه، كقولك: "رأيتُ

⁵ أبو المعالي، محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني الشافعي، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (بيروت: دار الجليل، ط3، د.ت)، ص89.

⁶ عتيق، عبد العزيز، علم البيان، (بروت: دار النهضة العربية، ط1، (1405هـ/1985م)). ص173.

⁷ عتيق، عبد العزيز، علم البيان، ص174.

⁸ الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق وتصحيح: الإمام محمد عبده ومحمد رشيد رضا، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت)، ص20.

⁹ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت: دار الصادر، ط3، 1414هـ)، ج2، ص941.

أسداً في المدرسة". فأصل هذه الاستعارة: "رأيت رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة"، فحذفت المشبهة لفظ رجل وحذفت الأداة الكاف وحذفت وجه التشبيه الشجاعة وألحقته بقريظة المدرسة؛ لتدل على أنك تريد بالأسد رجلاً شجاعاً. بناء على ما تقدم، يستنبط الباحث ويقول: تغيير الوضع الأصلي إلى وضع الآخر إضافة في معنى يحصل دونها، وله فائدة من المعاني وغرض من الأغراض من الاستعارة.

أركان الاستعارة:

الاستعارة باعتبار ذاتها ينقسم إلى حقيقية وخيالية، وباعتبار لفظها إلى أصلية وتبعية، وباعتبار طرفيها إلى تصريحية وممكنية، وباعتبار لازمها إلى مجردة وموشحة ومطلقة، وباعتبار حكمها إلى حسنة وقبيحة، وباعتبار كيفية استعمالها إلى استعارة محسوس لمحسوس أو معقول لمعقول أو محسوس المعقول أو معقول لمحسوس.

الاستعارة باعتبار ذاتها

كما تقدم من تقسيم هذه الاستعارة إلى حقيقية وخيالية. فيقول القزويني في الأولى بالتحقيقية لتحقق معناها حساً أو عقلاً، أي: التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال: إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه. وأما الحسي، فكقولك: "رأيت أسداً"، وأنت تريد رجلاً شجاعاً. وأما العقلي، فكقولك: "أبدت نورا"، وأنت تريد حجة، فإن الحجة مما يدرك بالعقل ومن غير وساطة حس؛ إذ المفهوم من الألفاظ هو الذي ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها. وعليه قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: 4] أي: الدين الحق.

ولم يظهر للباحث فرق كبير بين الاستعارة الممكنية والتخييلية من كلامه، واللازم المذكور في بيت أبي ذؤيبه ترشيح، وفرق صاحب الطراز بينهما بأن ما كان من الاستعارات لا يفهم منه معنى التشبيه لا على قرب ولا على بعد، كقوله: "أثمرت أغصان راحته لجان الحسن عناباً" فهو محقق لا يفهم منه معنى التشبيه بحال، ولو ذهب التشبيه أخرج عن

حقيقة البلاغة، وسلب به ثوب جماها. وما كان يفهم منه معنى التشبيه الذي لا يدرك في الوجود ويتصور في الخيال، هذه هي الاستعارة الخيالية كقوله ﷺ: ﴿بل يدها مبسوطتان﴾، وجميع آيات التشبيه كلها ترجع إلى باب الاستعارة الخيالية.

الاستعارة باعتبار لفظها

تنقسم الاستعارة باعتبار لفظها إلى قسمين: أصلية وتبعية. فالاستعارة الأصلية: هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرى فيه اسم جامد غير مشتق، مثل قوله ﷺ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 112]، وقوله ﷺ: ﴿وانه في أم الكتاب﴾، وقوله ﷺ: ﴿ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون﴾ [الشعراء: 225]. وكلمة "يهيمون" استعارة تبعية؛ لأنها مشتقة من الهيمان. وأما الاستعارة التبعية: فما كان اللفظ المستعار فيها أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا، مثل قوله ﷺ: ﴿لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ﴾ [الأعراف: 154]. فقد شبه انتهاء الغضب بالسكوت بجامع السكون في كل منهما، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السكوت لمشبه وهو انتهاء الغضب، ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب.

الاستعارة باعتبار طرفيها

إن كان المحذوف من طرفي التشبيه المشبه والمصرح به هو لفظ المشبه به، كانت الاستعارة تصریحية، مثاله في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: 1]. فقد شبه الظلمات في الآية بجامع عدم الاهتداء في كل، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمات على المشبه وهو الضلال على سبيل الاستعارة التصريحية. وكذلك شبه الاهتداء والإيمان بالنور بجامع وضوح المعالم والدلائل في كل، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو النور للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة حالية في استعارتين والعلاقة المشابهة. أما إن كان المحذوف في الاستعارة المشبه به وقد رمز له بشيء من لوازمه المشبه، منها قوله عز وجل - على لسان زكريا عليه السلام -:

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4] حيث شبه الرأس بالوقود، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "اشتعل" على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.¹⁰

الاستعارة باعتبار لازمها

تنقسم الاستعارة باعتبار الخارج إلى ثلاثة أقسام:

استعارة مرشحة: وهي ما ذكر مع الاستعارة ملائم للمشبه به، مثل قوله ﷺ: ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِأَهْدَى﴾ [البقرة: 16]، ثم قال على إثره: ﴿فَمَا رِبْحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: 16]. فلما استعير لفظ الشراء عقبه بذكر لازمه وحكمه وهو الربح ترشيحاً.

استعارة مجردة: وهي فيما إذا ذكر مع الاستعارة ملائم للمشبه، وفسرها الامام ابن القيم بقوله: "أن تنظر إلى المستعار من غير نظر إلى غيره كقوله ﷺ: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ [النحل: 112]. لو نظرنا إلى المستعار منه لقال: "فكساهم لباس الجوع".

الاستعارة باعتبار حكمها

تنقسم الاستعارة باعتبار حكمها إلى حسنة وقبيحة، وقد سبق إلى هذا التقسيم قدامة في نقد الشعر، وتابعه عبد القاهر في تقسيمها إلى مفيدة وغير مفيدة. وجميع استعارات القرآن الكريم والحديث النبوي حسنة مفيدة، كقوله ﷺ: ﴿وَلَا تُدَنَّ عَيْنِيكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: 131]، وقوله ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

¹⁰ القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي، وجماعة الآخرين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي دمشق، (بيروت: دار الجيل، ط3، د.ت)، ص21.

آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴿[الإسراء: 12]﴾ حيث جعل إزالة الليل عن مكانه محو له. ومن الاستعارات القبيحة مثل أشعار الشعراء...

المستعار منه	المستعار له	المستعار	المستعار به أو الجامع (القريظة)
الأسد (الحيوان)	الرَّجُلُ الشَّجَاعُ	أسدا	الشجاعة

المستعار منه: وهو المشبه به، وهو المعنى الأصلي الذي وُضع من أجله العبارة.

المستعار له: هو المشبه، والمعنى الفرعي الذي لم يوضع له العبارة أولاً.

ويسمى المستعار منه والمستعار له طرفي الاستعارة، وهذان الطرفان لا يذكران معاً، بل يحذف أحدهما دائماً بحيث يحتاج إليه في التركيب، أحدهما التركيب الكلامي.

المستعار: هو اللفظ المنقول بين المشبه به والمشبه.

ثم المستعار لا يقع في الجملة على صورة الخبر أو ينوب من الجملة على صورة الخبر ينوب منابه كالحال، بل يأتي إما فاعلاً، أو مفعولاً، أو مجروراً، أو مبتدأً.

والقريظة: هي التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي فتغيره، وتكون حالية أو لفظية. ويبدأ الباحث بتمثيل لكل واحد منهم:

الأول: استعارة حسي لحسي بوجه الحسي، كقوله ﷺ: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مریم: 4]. فإن المستعار منه هو

النار والمستعار له هو الشيب، والوجه هو الانبساط. فالطرفان حسيان والوجه أيضاً حسي وهو استعارة بالكناية؛ لأنه

ذكر التشبيه وذكر المشبه وذكر المشبه به مع لازم من لوازم المشبه به وهو الاشتعال. فالمستعار له هو الشيب، والمستعار

منه هو النار، والمستعار هو لفظة اشتعل، وهو من لوازم النار وملاماتها، والجامع بينهما هو الالتهاب وسرعة الانتشار.

والمراد بهذا: لقد انتشر الشيب في رأسي بسرعة كما تنتشر النار في المهشم مثلاً بسرعة. وكذلك قوله ﷺ: ﴿وَتَرَكْنَا

بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: 99]، أصل الموج حركة المياه فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة.

الثاني: حسي لحسي بوجه عقلي، كقوله ﷻ: ﴿أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: 41]. فالمستعار له الريح والمستعار منه المرأة وهما حسيان، والوجه المنع من ظهور النتيجة والأثر وهو عقلي وهو أيضا استعارة بالكناية. والمقصود بهذا القسم من الاستعارة هو أن يستعار شيء محسوس أي ملموس ليشبهه بشيء محسوس آخر مثل هذه الآية السابقة، فالمستعار منه هو "المرأة التي لا تنجب" والمستعار له هو الريح، وكلاهما أي المرأة والريح محسوسان. ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَيَّةٌ هُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: 37]، المستعار له ظلمة النهار من ظلمة الليل والمستعار منه ظهور المسلوخ عند جلده، والجامع عقلي وهو ترتب أحدهما على الآخر. وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأُمْسِ﴾ [يونس: 24]، أصل الحصيد النبات، والجامع هو الهلاك وهو أمر عقلي.

الثالث: معقول لمعقول، كقوله ﷻ: ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ [يس: 52]. فالرقاد مستعار للموت، وهما أمران معقولان، والوجه عدم ظهور الأفعال وهو عقلي والاستعارة تصريحية لكون المشبه به مذكورا. فالمستعار منه هو "الرقاد" والمستعار له هو "الموت"، وكلاهما معقول. وقوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: 154]، المستعار السكوت والمستعار له الغضب والمستعار منه الساكت، وهذه أطف الاستعارات؛ لأنها استعارة معقول لمعقول لمشاركته في أمر معقول.

الرابع: محسوس لمعقول، كقوله ﷻ: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ [البقرة: 214]، أصل التماس في الأجسام فاستعير لمقاساة الشدة، وكون المستعار منه حسيا والمستعار له عقليا وكونها تصريحية ظاهر، والوجه اللحوق وهو عقلي. والمقصود بهذا القسم من الاستعارة هو أن يستعار شيء محسوس أي ملموس لنشبهه بشيء معقول كقوله ﷻ: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: 94]، فالمستعار منه هو صدع الزجاجاة أي كسرها، وهو محسوس. والمستعار له هو تبليغ الرسالة وهو معقول. وقوله: ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: 1]، وكل ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار.

الخامس: المقصود بهذا القسم من الاستعارة هو أن يستعار شيء معقول أي غير ملموس ليشبهه بشيء محسوس كقوله ﷺ: ﴿حَتَّى تَصْعَ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: 4]. فالمستعار منه هو الوضع والوزر، أي الحمل الثقيل، وهو أمر معقول. والمستعار له هو الحرب وهو محسوس. ومعنى "وضعت الحرب أوزارها" أي انقضت؛ لأن أهلها يضعون أسلحتهم حينئذ. السادس: استعارة معقول لمحسوس، كقوله ﷺ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ [الحاقة: 11]، المستعار منه التكبير والمستعار له الماء والجامع الاستعلاء المفرط. ومنها الاستعارة بلفظين، كقوله ﷺ: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: 16] يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضة، بل في صفاء القارورة وبياض الفضة، وقد سبق عن الفارسي جعله من التشبيه. ومثله قوله ﷺ: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: 13] يني عن الدوام، والسوط يني عن الإيلام فيكون المراد تعذيبهم عذابا دائما مؤلما.¹¹

الفرق بين الاستعارة والمجاز

رُوحَ الْمَجَازِ بِالتَّشْبِيهِ، فَتَوَلَّدَ بَيْنَهُمَا الاستعارة، فَهِيَ مَجَازٌ عَلاَقَتُهُ الْمَشَابَهَةُ. أَوْ يُقَالُ فِي تَعْرِيفِهَا: اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيهَا سَبَبٌ بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ. وَالْأَصَحُّ أَنَّ الاستعارة مَجَازٌ لِعَوِيِّ لِأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِلْمُشَبَّهِ بِهِ لَا لِلْمُشَبِّهِ، وَلَا الْأَعْمَ مِنْهُمَا، فَأَسَدٌ فِي قَوْلِكَ: رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي، مَوْضُوعٌ لِلسَّبُعِ لَا لِلشُّجَاعِ، وَلَا لِمَعْنَى أَعْمَ مِنْهُمَا، كَالْحَيَوَانَ الْجَرِيِّ مَثَلًا لِيَكُونَ إِطْلَاقُهُ عَلَيْهِمَا حَقِيقَةً كِإِطْلَاقِ الْحَيَوَانَ عَلَيْهِمَا.

فكلُّ مَجَازٍ يَبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ (يَسْمَى استعارةً)، وَلَا بَدَّ فِيهَا مِنْ عَدَمِ ذِكْرِ وَجْهِ الشَّبهِ، وَلَا أَدَاةَ التَّشْبِيهِ، بَلْ وَلَا بَدَّ أَيْضًا مِنْ تَنَاسِيِ التَّشْبِيهِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَقَعَتِ الاستعارة فَفَقَطْ مَعَ ادْعَاءِ أَنَّ الْمَشَبَّهَ عَيْنُ الْمَشَبَّهِ بِهِ، أَوْ ادْعَاءِ أَنَّ الْمَشَبَّهَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْمَشَبَّهِ بِهِ الْكَلِمِيِّ بِأَنْ يَكُونَ اسْمَ جِنْسٍ أَوْ عِلْمَ جِنْسٍ، وَلَا تَنَاسَى الاستعارة فِي الْعِلْمِ الشَّخْصِيِّ لِعَدَمِ

¹¹ . الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988)، ج3، ص444.

إمكان دخول شيء في الحقيقة الشخصية؛ لأنَّ نفس تصوُّر الجزئيِّ يمنع من تصوُّر الشركة فيه إلا إذا أفاد العَلْمُ الشخصيُّ وصفاً¹².

اختلف علماء البيان في الاستعارة: هل هي من قبيل المجاز اللغوي، أم من قبيل المجاز العقلي؟ فجمهور البيانين على أنها مجاز لغوي، أي: إنها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، فالتصرف فيها إنما هو في نقل اللفظ من معناه الموضوع له في اللغة إلى معنى آخر. والدليل على ذلك: أن اللفظ المستعار موضوع في اللغة للمشبه به، لا للمشبه، ولا للأعم من المشبه والمشبه به، فلفظ أسد في قولنا: رأيت أسدا يقود الجيش موضوع في اللغة للحيوان المعروف، لا للرجل الجريء، وهو ظاهر، ولا لمعنى أعم منه، ومن الحيوان المعروف كالحَيوان الجريء مطلقاً، رجلاً كان أو أسداً، إذ لو كان موضوعاً لمطلق حيوان جريء لكان إطلاقه على كل منهما حقيقة باعتبارهما من أفراد هذا المطلق، وليس الواقع كذلك، وإذا لم يوضع عن أئمة اللغة كان استعماله في المشبه إطلاقاً للفظ على غير ما وضع له، وهذا هو معنى المجاز اللغوي¹³.

قيل: إنها من قبيل المجاز العقلي بمعنى أنها تصرف في أمر عقلي لا لغوي. ودليل هذا القائل: أن من يقول: رأيت أسداً معتقلاً رجلاً إنما يريد أن يثبت معنى الأُسدية لرجل جريء مقدام، وأن ينقل هذا الرجل الجريء من نوع الإنسانية إلى جنس الأسد، مدعياً أنه فرد من أفراد حقيقة¹⁴.

الفرق بين الاستعارة والتشبيه

التشبيه والاستعارة يتفاوتان في الشكل والمعنى والموارد.

¹² . الشحود، علي بن نايف، الخلاصة في علوم البلاغة، (د.م، د.ط، 1427هـ)، ص43. بالترقيم الشامله، موافقاً لمطبوع.

¹³ . الحازمي، أحمد بن عمر، (ب ت). شرح مائة المعاني والبيان (مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي <http://alHazme.net> (14/ 15)، بترقيم الشاملة آليا.

¹⁴ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. الإتيقان في علوم القرآن. تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.م: طبعة مؤسسة النداء، 1394هـ/1974م)، ج3، ص149.

أما التفاوت في الشكل:

1. فهو أن المشبه والمشبه به لا يجتمعان في الاستعارة ولا يفترقان في التشبيه، بمعنى أنه يكتفي بأحدهما في الاستعارة كما مر بخلاف التشبيه. نعم، قد يحذف أحد الطرفين في التشبيه أيضا كقوله ﷺ: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ [البقرة: ١٨]، إلا أن الحذف لا يتجاوز اللفظ، ولهذا لا يستغنى عن المحذوف من حيث التركيب الكلامي.

2. أن المشبه به في التشبيه يكون في موضع الخبر أو ما هو في حكمه، فأما الاستعارة فهو يقع موقع المبتدأ، أو الفاعل، أو المفعول، أو المجرور بالحرف، أو الإضافة.

أما التفاوت في المعنى فهو:

1. التشبيه استعمال اللفظ فيما وُضع له واحتفاظ المشبه والمشبه به بمعناها الحقيقي، وكل ما يفعله التشبيه هو ربط الصلة بينهما، ولكن الاستعارة استعمال اللفظ في غير ما وُضع له، وبناء على تناسي التشبيه وتدميج التشبيه وتدميج أحد الطرفين في الآخر وجعلهما شيئا واحدة، ففرق بين أن يقول الشاعر:

وأسبلت لؤلؤا من نرجس فسقت واردة، وعضت على العناب بالبرد

وبين أن يقول: "وأسبلت دمعاً كاللؤلؤ من عين كالنرجس وسقت خدّاً كالورد، وعضت على أنامل كالعناب بأسنان كالبرد."

2. فالتشبيه أقرب إلى تصوير الواقع، ولكن الاستعارة أمعن في الخيال؛ لأنها تطمس الأشياء وتستبدل بها أشباهها. فالفتاة البادية في البيت لم تمطر من عينها دمعاً كاللؤلؤ، بل أمطرت لؤلؤة. فالاستعارة أعظم شأناً في مواضع التهويل والتجسيم والتشخيص، وأجل قدرة من حيث ادعاء الاتحاد وإفادة المبالغة.

نموذج الاستعارة في القرآن الكريم

النموذج الأول

ورد في القرآن في شأن الليلة التي يصبح العبد بعدها صائما قوله ﷺ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187].

وقد فسّر الزمخشري هذه الآية بقوله: "الخيطة الأبيض هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيطة الممدود والخيطة الأسود ما يمتد معه من غبش الليل شبيها بخيطين أبيض وأسود".¹⁵ ففي هذه الآية إذن استعارتان هما الخيطة الأبيض والخيطة الأسود حيث شبه بياض النهار وضيائه بالخيطة الأبيض؛ لأن ما يبدو من البياض يُرى ممتدا كالخيطة وشبه سواد الليل وحلكنه بالخيطة الأسود، والجامع في كل منهما هو الامتداد. وذكر مع هذا قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهي من الفجر. وبما أنهما متشابهتان، فستتناولهما على أنهما استعارة واحدة. وذكر في السنة حديث يوضح الصورة أكثر، جاء فيه أن: "عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»".¹⁶

النموذج الثاني

قال الله داعيا للمؤمنين إلى طريق الهداية: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، وقد جاء في تفسير الآية: "قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساک المتدلي من مكان

¹⁵ الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 1419هـ/1998م)، ج1، ص 115.

¹⁶ الزبيدي، زين الدين أحمد، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، تحقيق: إبراهيم بركة، (بيروت: دار النفائس، ط2، 1986م)، ص207.

مرتفع بجبل وثيق يأمن انقطاعه، وأن يكون الجبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الجبل بما يناسبه. والمعنى: واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه، أو واجتمعوا على التمسك بعهده إلى عبادته وهو الإيمان والطاعة، أو بكتابه¹⁷.

وهذا أيضا ما ذكره الجزائري في تفسيره: "جبل الله هو كتابه القرآن ودينه الإسلام؛ لأن الكتاب والدين هما الصلة التي تربط المسلم بربه، وكل ما يربط ويشد شيئا بآخر هو سبب وجعل"¹⁸. فاتفق عليه جمهور المفسرين في معنى جبل الله هو القرآن أو الدين أو العهد. فهذه كلها شَبَّهت بالجبل؛ لأنها صلة وهمزة وصل تربط بين شيئين، فكما الجبل يربط شيئا بشيء آخر، فكذلك هذه تربط العبد بخالقه. وهذا لا يخفى أنه استعمال استعارة للفظه جبل ولا يتصور أن يكون جبلا حقيقيا ملموسا ممدودا من السماء إلى الأرض، بل هو من قبيل المجاز.

النموذج الثالث

حثَّ القرآن على الاجتهاد في الخير والمبادرة بالأعمال الصالحة والمسارة إلى الطاعات حيث ورد فيه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: 148]. ومعنى الآية كما جاء في أيسر التفاسير: "استبقوا الخيرات أي بادروا الأعمال الصالحة وليجتهد كل واحد منكم أن يكون سابقا". فهي دعوة إلى المشاركة في سباق يكون الفائز فيه أكثر المتسابقين؛ إحرزا على الخيرات. وفي الآية استعارة حيث شَبَّه هذا الاجتهاد بين المؤمنين في المسارعة إلى الخيرات بسباق؛ لأن كل متسابق يريد أن ينال المرتبة الأولى، أو على الأقل أن يكون في مرتبة أحسن من غيره من المتسابقين.

النموذج الرابع

قال الله ﷻ مرشدا لرسوله محمد ﷺ ومُعَلِّما إياه ما ينبغي أن يكون عليه: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88]، وكان هذا في بدايات الإسلام. فهو أمره ألا يحزن على من لم يهتد وأن يكون عطوفا على من اتبعه رحيمًا به، وقد فسر الزمخشري الآية بقوله: "ولا تحزن عليهم [الأغنياء والأقوياء]، إنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم

¹⁷ الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ج1، ص 115.

¹⁸ الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 2000م)، ص168.

الإسلام وينتفش بهم المؤمنون، وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء والأقوياء المعقوفتان من وضعنا".¹⁹ وفي الآية استعارة لطيفة هي اخفض جناحك، حيث شبه الرسول ﷺ بالطائر وشبه المؤمنون بصغار الطير، فكما الطائر يلقي جناحه على صغاره عطفًا وحنانًا مودة ورحمة، فكذلك على الرسول أن يفعل ذلك مع المؤمنين. فهو ليس رسولهم فقط، بل هو مأمور أن يكون تصرفه معهم أشبه بالوالد مع ولده في رحمته ومودته لهم.

النموذج الخامس

ورد في القرآن: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: 112]، وذكر الجزائري في سبب نزول هذه الآية أن "مكة كانت آمنة من غارات الأعداء لا ينتابها فرع ولا خوف يأتيها رزقها رغدا من الشام واليمن، فكفرت بأنعم الله فدعا عليهم الرسول. فأصابهم القحط سبع سنوات، فجاجعوا حتى أكلوا الجيف والعهن، وأذاقها لباس الخوف؛ إذ أصبحت سرايا الإسلام تعترض طريق تجارتها، بل تغزوها في عقر دارها".²⁰

وفي الآية استعارتان، الاستعارة "أذاقها" حيث إن لفظة "أذاق" استعيرت لغير ما يستطعم باللسان؛ لأن اللباس ليس داخلا في الأطعمة والمشروبات؛ كي يكون له طعم أو ذوق، والاستعارة "لباس الجوع والخوف" حيث إن لفظة اللباس استعيرت للدلالة على المجرد وهو في الآية الجوع والخوف؛ لأنهما ليسا شيئين محسوسين يضعهما على الأجسام كاللباس. وفي هذا الشأن، يذكر الشريف الرضي تحليلا لهاتين الاستعارتين قائلاً: "الذوق يكون في المطاعم والمشارب لا في الكسا والملابس. وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم والبلاء الشامل لهم، فكأنه ﷺ لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة حسن أن يقول ﷺ: "فأذاقهم" أي أوجدهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير ووخامة الطعم الكريه. وإنما قال ﷺ: "لباس الجوع والخوف" ولم يقل: "طعم الجوع والخوف"؛ لأن المراد بذلك وصف

¹⁹ الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ج2، ص 319.

²⁰ الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ص662.

تلك الحال بالشمول لهم والاشتمال عليهم كاشتمال الملابس على الجلود؛ لأن ما يظهر منهم من مضيض الجوع وأليم الخوف من سوء الأحوال وشحوب الألوان وضؤولة الأجسام كاللباس الشامل لهم والظاهر عليهم".²¹

النموذج السادس

جاء في كتب الأخبار أنه بعد أن سوى الله آدم بشرا جمع الملائكة وطلب منهم أن يسجدوا له، فسجدوا إلا إبليس أبي واستكبر؛ لأن الله فضل آدم وكرمه عليه. وقد ورد في القرآن حكاية عن إبليس: ﴿لَئِن أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62]. والقصد من ذريته هو أبناء آدم أي بنو البشر. وقد ذكر أهل التفسير في تأويلها: "لأحتنكن ذريته أي لأستولين عليهم فأقودهم إلى الغواية كالذابة إذا جعل الرسن في حنكها، تقاد حيث شاء ركبها".²² ففي الآية إذن استعارة هي "لأحتنكن ذريته"، وقد حلل الشريف الرضي أركان هذه الاستعارة بقوله: "لأحتنكن ذريته أي لأقودهم إلى المعاصي كما تقاد الذابة بحنكها غير ممتعة على قائدها، وهو عبارة عن الاستيلاء عليهم والملكة لتصرفهم كما يملك الفارس تصريف فرسه يُثني العنان تارة ويكبح اللجام مرة".²³

النموذج الثامن

ورد في القرآن في الآية التاسعة والتسعين من سورة الكهف: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: 99]، وقد ذكر الطبري في تفسيره جامع البيان في تفسير القرآن ما نصه: "وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض أي وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط إنسهم وجنهم حيارى".²⁴

²¹ الشريف الرضي، محمد بن الحسين، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق وتقديم: علي مقلد، (بيروت: مكتبة دار الحياة، د.ط، 1984م)، ص147.

²² الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص685.

²³ الشريف الرضي، محمد بن الحسين، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص، 152.

²⁴ . الطبري، ابن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر، جامع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 1987م)، ج3، ص21.

وفي الآية استعمال مجازي لكلمة "موج"، وهي استعارة لطيفة ذكر الشريف الرضي تحليلاً لها يقول فيه: "أصل الموجان من صفات الماء الكثير، وإنما عبّر ﷺ بذلك عن شدة اختلاطهم ودخول بعضهم في بعض لكثرة أعدادهم تشبيهاً بموج البحر المتلاطم".²⁵

النموذج التاسع

ورد في القرآن الآية التالية: ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: 41]، وقد ذكر المفسرون في أسباب نزول هذه الآية أن نبي الله هود سأل الله أن ينصره على قومه بسبب تماديهم في كفرهم وتكذيبهم له، فاستجاب الله له. فأهلكهم بذنوبهم، فأخذتهم الصيحة وجعلهم الله مثل الغناء. ذكر في تفسير الآية أن هؤلاء القوم "صاح عليهم جبريل عليه السلام فدمرهم بالوجوب؛ لأنهم قد استوجبوا الهلاك. شبههم في دمارهم بالغناء وهو حميل السيل مما بلي واسودّ من العيدان والورق".²⁶

النموذج العاشر

قال سيدنا لقمان ناصحاً لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: 18]. وقد ذكر الجزائري في تفسير الآية: "هذا مما قاله لقمان لابنه نهاه فيه عن خصال ذميمة محرّمة وهي التكبر على الناس بأن يخاطبهم وهو معرض عنهم بوجهه لا و عنقه، هي مشية المرح والاختيال والتبختر والفخر بالنعم مع عدم شكرها".²⁷ وكذلك قال الزمخشري في معنى الآية حيث ذكر ما يلي: "يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعلاه بمعنى. والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه. والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون".²⁸

²⁵ . الشريف الرضي، محمد بن الحسين، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 168.

²⁶ . الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ج 3، ص 48.

²⁷ الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، ص 994.

²⁸ الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ج 3، ص 213.

الآية استعارة حسنة السبك هي "لا تصعر خدك" أي لا تمَل وجهك عن الناس تكبرا كأن بك صَعرا. والصَعْر كما جاء في المعجم، هو داء في البعير يلوي عنقه منه، ولعل هذا الداء هو.

النموذج الحادية العشر

وصف الله ﷻ نبيه محمد ﷺ بأنه نور يُستضاء بتعاليمه حيث قال: ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 46]. وذكر النيسابوري تفسيراً لهذه الآية قال فيه: "وُصِفَ النَّبِيُّ ﷺ بِالسِّرَاجِ؛ لِأَنَّ ظِلْمَاتِ الضَّلَالِ تَجْلِي بِه كَمَا يَنْجَلِي ظِلَامَ اللَّيْلِ بِالسِّرَاجِ. وَقَدْ أَمَدَّ اللَّهُ بِنُورِ نُبُوَّتِهِ نُورَ الْبَصَائِرِ كَمَا يُمَدُّ بِنُورِ السِّرَاجِ نُورَ الْأَبْصَارِ. وَوُصِفَ السِّرَاجُ بِالْإِنَارَةِ؛ لِأَنَّ السِّرَاجَ قَدْ يَكُونُ فَاتِرًا".²⁹ فلا يخفى إذن أن في هذه الآية استعارة تخيلية، وهي "سراجاً منيراً" حيث ذكر اللفظ المستعار وهو سراج وأثبت فيها أمر مختص بالمستعار منه وهو "منيراً". وهي استعارة لا يتحقق معناها حساً ولا عقلاً، بل هو زيادة في التخييل.

أسلوب الاستعارة

أن العرب إنما تستعير معنى ما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه في بعض أحواله، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لا تفتقد بالشيء الذي استعيرت له وملائمة لمعناه موازنة، وهو بهذا يشرح الاستعارة ويبين الحد الفاصل بين جميلها وقبيحها. وقد ذكر الأمدي أن للاستعارة أسلوباً يتجلى النهج العربي في أسلوب الاستعارة شارحاً أسباب الجمال فيها بأسلوب يتجلى روحه وهو يقول: "أن للعرب نهجاً خاصاً في أسلوبها، وهم يراعى قرب الشبه وظهور المشاكلة والمناسبة بين المستعار له والمستعار منه، وأن على البليغ أن يحافظ على هذا النهج ولا يتعداه حتى تكون استعاراته جميلة غير

²⁹ النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ووعائب الفرقان، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1987م)، ج 10، ص 23.

قبيحة ومفهومة غير غامضة. ويتكلمون عن حسن الاستعارة وقبيحها فيقولون إذا كان معنى الاستعارة قريبة إلى معنى الحقيقة فهو جميلة، وإن بعد الاستعارة يجعلها قبيحة، وعلى هذا النهج الاستعارة عندهم³⁰.

أنواع الاستعارة

تُقسم الاستعارة من حيث ذكر أحد أطرافها إلى:

المشبه به	المشبه	اللون البياني
محذوف	مذكور	الاستعارة المكنية
مذكور	محذوف	الاستعارة التصريحية

الاستعارة المكنية:

وهي التي يُذكر فيها المشبه، ويُحذف المشبه به، أي يحذف فيها المستعار منه ويُرمز له بشيء من لوازمه، أو صفة من صفاته، مثل: "افترسَ الجندي أعداءه". ففي هذه الجملة شبه الجندي بوحش مفترس، فالجندي مشبه، والوحش المفترس مشبه به. لكنّه ذكر فقط المشبه، وحذف المشبه به، ودلّ عليه صفة من صفاته وهي الافتراس. وكذلك في قوله ﷻ: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مریم:19] حيث شبه الرأس بالوقود، وذكر المشبه وهو شيب الرأس، وحذف المشبه به الوقود.

³⁰ القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي، وجماعة الآخرين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي دمشق، (بيروت: دار الجليل، ط3، د.ت)، ص 36.

الاستعارة التصريحية

وهي التي يُذكر فيها المشبه به، ويُحذف المشبه، أي هي ما صُرح فيها بلفظ المشبه به، مثل: "رَأَيْتُ أَسَدًا يَدْفَعُ عَن وَطْنِهِ". ففي هذه الجملة شبه الجندي بالأسد. ولكننا حذفنا المشبه، وصرحنا بالمشبه به، فسميت استعارة تصريحية، فالجندي مشبه، والأسد مشبه به. لكنّه ذكر المشبه به فقط.³¹ ومثاله في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ وَبِئْسَ الَّذِيْنَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 257]. ظهرت الاستعارة التصريحية في هذه الآية الكريمة من خلال تشبيه وُصف بأنه من أحسن التشبيهات، وهو تشبيه الكفر بالظلمات وتشبيه الإيمان بالنور. وهنا حُذف المشبه أي الكفر والإيمان، ولكنّه صُرح بالمشبه به وهو الظلمات والنور، والعلاقة بينهما أن الكُفر كالظلمة التي يتخبط بها الفرد ويضل مقصده، أما الإيمان فهو كالنور الذي يهتدي إليه الحائر والضائع، وبين صورتَي التشبيه يتضح الطباق.

خاتمة البحث

تبين لنا مما سبق أن الاستعارة قد أخذت حيزا واسعا في الدراسات البلاغية، وقد اعتمد عليها الأدباء من مختلف الأنحاء العالم من كل الجنسيات في نتاجاتهم على مر العصور، وقد تجلت في القرآن الكريم بشكل واضح بحيث قام بتحليلها كثير من المفسرين وقد تطرق واستعملها الشعراء في الجاهلية المقاصدهم، وهكذا في الثقافة الإسلامية. وبعد عصر نزول القرآن، استعملها شعراء وأدباء الإسلام القدامى في كل العصور حتى الأمويين والعباسيين، وهكذا تطورت الاستعارة عند الجرجاني والزمخشري، واستعمل الشعراء البلاغة ما في القرآن الكريم وقسم البيان خصوصا كما استعمل الاستعارة بأنواعها، وأن معظمهم دمجوا أشعارهم بالاستعارات والتزموا بها.

³¹ مناهج جامعة المدينة العالمية، البيان والبديع، (السعودية: جامعة المدينة العالمية، د.ط، د.ت)، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، صفحة 153. بتصرف.

وتوصل هذا البحث أن الاستعارة استعملت في القرآن الكريم، وهذا الاستعمال صورة من الصور البيانية والبلاغية للقرآن وهو جانب من الجوانب الإعجازية، إلا أن المقام لا يسمح للباحث أكثر؛ لأن البحث في هذا الموضوع لا ينتهي بهذا القدر. ولو كان الباحث في قيد الحياة - إن شاء الله - وله الفرصة في ذلك، ليكتب الموضوع بجزورها أكثر.

هذه أهم نتائج الاستعارة التي توصل إليها البحث مما لا يعني وجود غيرها مما تفرع عن أساسياته في داخل، ومما لا يقل أثراً وأهمية عما ورد هنا، إنما هي عجالة ينبغى ألا تصرف القارئ عن تتبع الجزئيات المهمة والمتعددة الداخلة في أبوابه وفصوله. والاستعارة بحث مهم للغاية على طلاب اللغة العربية وآدابها أن يبذلوا جهدهم في كشف هذه الأسرار والغور في هذه الأعماق التي لا قعر لها.

قائمة المصادر

1. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1414هـ). لسان العرب. (طبع 3). بيروت: دار صادر.
2. أبو المظفر، مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، (د.ت)، البديع في نقد الشعر، تحقيق: الدكتور أحمد بدوي، والدكتور حامد عبد المجيد، (الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي الإدارة العامة للثقافة، د.ط).
3. أبو المعالي، محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني الشافعي. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (ط3). بيروت: دار الجيل.
4. الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت). أسرار البلاغة، تحقيق وتصحيح: الإمام محمد عبده ومحمد رشيد رضا. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.
5. الجزائري، أبو بكر جابر. (2000م)، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، (ط5). المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
6. الحازمي، أحمد بن عمر. (ب ت). شرح مائة المعاني والبيان. (د.ط). مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، رقم المجلد، 15/14، بتقييم الشاملة آليا.

7. الزبيدي، زين الدين أحمد. (1986م). التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، تحقيق: إبراهيم بركة، (ط2). بيروت: دار النفائس.
8. الزركشي، بدر الدين. (1424 هـ). البرهان في علوم القرآن. تحقيق أبو الفضل إبراهيم. (ط1). الرياض: دار عالم الكتب.
9. الزمخشري، جار الله. (1419 هـ/1998م). أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود. (1419 هـ/1998م). بيروت: دار المعرفة.
10. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (1394 هـ/1974م). الإتقان في علوم القرآن. تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط. د.م): طبعة مؤسسة النداء.
11. الشحود، علي بن نايف. (1427 هـ). الخلاصة في علوم البلاغة. (د.ط.). د.م: بالترقيم الشامله، موافقا لمطبوع.
12. الشريف الرضي، محمد بن الحسين. (1984م). تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق وتقديم: علي مقلد. (د.ط.). بيروت: مكتبة دار الحياة.
13. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر. (1420 هـ/2000م). تفسير الطبري. (ط1). بيروت: دار المعرفة.
14. عبد الرحمن، الميداني. (1414 هـ). البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. (د.ط.). مكة المكرمة: مكة المكرمة في يوم السبت التاسع من ربيع الآخر. بالترقيم الشاملة.
15. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي، وجماعة الآخريين (د.ت.). الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (ط3). بيروت: دارالجيل.
16. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي، وجماعة الآخريين. (د.ت.). الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (ط3). بيروت: دارالجيل.
17. مناهج جامعة المدينة العالمية. (د.ت.). البيان والبديع، (د.ط.). السعودية: جامعة المدينة العالمية.



مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIENNIAL REFEREED JOURNAL
KULLIYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA



e-ISSN: 2600-8394

VOL. 6. No. 1

June (1443-2022)

Metaphor in Holy Quran (sample)

Abdul Fatah Danishfar - Prof. Dr. Jamal Ahmed Bashier Badi

18. النيسابوري، الحسن بن محمد. (1987م). غرائب القرآن ورغائب الفرقان. (د.ط.). بيروت: دار المعرفة.
19. عتيق، عبد العزيز. (1405هـ/1985م). علم البيان، (ط1). بروت: دارالنهضة العربية.